الفتح والإمالة

The phenomenon of open and tilt

الإمالة ضربٌ من ضروب التأثير الذي تتعرض له الأصوات حين تتجاور، وهي والفتح صائتان ؛ أي يندرجان تحت ما يسميه الأوربيون vowels ، وقد يكونان طويلين أو قصيرين .

يقول ابن الجزري : الإمالة و الفتح لغتان مشهورتان فاشيتان على ألسنة الفصحاء من العرب الذين نزل القرآن بلغتهم

مفهوم الإمالة في اللغة : تسمى الكسر والبطح والإضجاع ، وهي مصدر أملتُ الشيء إمالة : عدلت به إلى غير الجهة التي هو فيها .

يذكر ابن فارس : (أنَّ الميم ، والياء ، واللام كلمة صحيحة تدل على انحراف في الشيء إلى جانب منه ، مالَ يميلُ ميلاً ، والميُلاء من الرمل : عقدة ضخمة تعتزل وتميل ناحية ، والميُلاء : الشجرة الكثيرة الفروع . . . والأَميل من الرجال ، يقال إنه الذي لا يثبت على الفرس ، وإن كان كذا ، فلأنه يميل عن سرجه ، وتأتي الإمالة بمعنى ميول الشمس مالت الشمس ميولاً : صيفت للغروب ، أو زالت عن كبد السماء .

مفهوم الإمالة عند النحويين : لقد أشار إمام العربية سيبويه إلى ظاهرة الإمالة في مؤلفه الكتاب قائلاً: الألف تُمال إذا كان بعدها حرف مكسور وذلك نحو : عابِد ، وعالِم . . . وإ نما أمالوها للكسرة ، التي بعدها ، أرادو أن يقربوها منها.

ويقول ابن جني معنى الإمالة هو : (أن تنحو بالألف نحو الكسرة ، فتميل الألف نحو الياء، لضرب من التجانس، ويقول السيوطي : (الإمالة أن تنحي جوازا

بالألف نحو الياء لضرب من تجانس الصوت) فهي إذًا عدول بالألف المفخمة وبين مخرج الياء ، ونفهم مما سبق أن الألف تُمال إذا كان بعدها حرف مكسور، وهذا يكون من أجل التناسب بين الحركات بتقريب بعضها من بعض والإمالة على هذا وسيلة من وسائل تحقيق الانسجام الصوتي الذي يترتب عليه الاقتصاد في الجهد العضلي .

مفهوم الفتح : هو عبارة عن فتح القاريء لفيه بلفظ الحرف وهو فيما بعده ألف أظهر، ويقال له أيضا التفخيم وربما قيل له النصب .والفتح : (هو عكس الإمالة وهو أن تنحو بالفتحة نحو الضمة وبالألف نحو الواو. (

وقسمه ابن الجزري إلى قسمين :

١. فتح شديد : هو نهاية فتح الشخص فمه بذلك الحرف ولا يجوز في القرآن ، وهو معدوم في لغة العرب وإنما يوجد في لغة العجم ، ولاسيما أهل خراسان .
٢. فتح متوسط : وهو ما بين الفتح الشديد والإمالة المتوسطة ويقال له الترقيق وقد يقال له التفخيم بمعنى أنه ضد الإمالة .

أقسام الإمالة عند ابن الجزري

١. الإمالة الشديدة : يتجنب معها القلب الخالص والإشباع المبالغ فيه .
٢. الإمالة المتوسطة : تكون بين الفتح المتوسط والإمالة الشديدة

.أيهما أصلٌ الإمالة أم الفتح ؟؟؟

وقد اختلف أئمتنا في كون الإمالة فرعاً عن الفتح أو أن كُلاً منهما أصلٌ برأسه مع اتفاقهم على أنهما لغتان فصيحتان صحيحتان نزل بهما القرآن . فذهب أكثرهم إلى

أنّ الفتح هو الأصل والإمالة فرع عليه ويلخص ابن الجزري أراء القدماء فيقول : فذهب جماعة إلى أصالة كل منهما وعدم تقدمه على الآخر، وكما أنه لا يكون إمالة إلا بسبب . قالوا : وجود السبب لا يقتضي الفرعية ولا الأصالة . وقال آخرون : (إن الفتح هو الأصل وإنّ الإمالة لا تكون إلا عند وجود سبب من الأسباب فإن فُقد سبب لزم الفتح ، وإن وُجد شيء منها جاز الفتح والإمالة ، فما من كلمة تُمال إلا ومن العرب من يفتحها ولا يُقال كل كلمة تُفتح من العرب من يُميلها . فقالوا : (فاستدللنا باطّراد الفتح وتوقف الإمالة على أصالة الفتح وفرعية الإمالة ، وقالوا أيضا : إنّ الإمالة تُصيِّر الحرف بين حرفين بمعنى أن الألف المُمالة بين الألف الخالصة والياء ، وكذلك الفتحة المُمالة بين الفتحة الخالصة والكسرة والفتح يبقي الألف والفتحة على أصلها) قالوا : (فلزم أن الفتح هو الأصل والإمالة فرعٌ) ويقول عبده الراجحي : (ومعنى ذلك أن الإمالة متحولة عن الفتح ولذلك اهتم القدماء . وبعض المحدثين . بموضوع الأصلية و الفرعية فيهما وذهب الأكثرون إلى أنّ الفتح هو الأصل و الإمالة فرع عليه، ويعالج الدكتور أنيس الموضوع بطريقة علمية حديثة ، فيرى أن الإمالة أقدم في حالات ، والفتح أقدم في حالات أخرى ، فالإمالة في الألف التي أصلها ياء تطورت من صائت مركبDiphthong إلى إمالة إلى فتح (بَيَعَ) أما الإمالة بغير أصل من أصول الكلمة كإمالة الفتحة أو إمالة الألف غير المنقلبة عن أصل فليس هذا إلا نوعا من الانسجام بين الصوائت ، وهذا الانسجام أقرب إلى السهولة والاقتصاد في الجهد العضلي ، وعليه فإن الكلمة التي تشتمل على صوائت منسجمة أحدث من نظيرتها التي خلت صوائتها من الانسجام . على ذلك فإن كلمة (كِتَاب) بالفتح أقدم منها بالإمالة

ما يمنع الإمالة

يقول ابن جني : (واعلم أنّ من الحروف حروفًا تمنع الإمالة في كثير من المواضع وهي حروف الاستعلاء ، وعدّتها سبعة : (الصاد ، والضاد ، والطاء ، والظاء ، والغين ، والخاء ، والقاف) . فإذا كان واحد من هذه الحروف قبل الألف أو بعدها مفتوحا أو مضموما منع الإمالة (فالذي هو قبل الألف، نحو قولك : صالح ، وضامن ، و طالب ، وظالم ، وغالب ، وخالد ، وقاسم . لا تجوز الإمالة في شيء من هذا ونحوه . (وأما إذا وقعت هذه الحروف بعد الألف نحو : حاصل ، وفاضل ، عاطل ، ومتعاظم ، وسالخ ،وشاغل، ونافق ، فإنْ كان شيء من هذه الحروف قبل الألف لا بعدها جازت معه الإمالة وذلك نحو : صفاف ، قفاف ، وجفاف ، وخفاف، و طلاب ، غلاب، ويقول سيبويه : (وإنما منعت هذه الحروف الإمالة لأنها حروف مستعلية إلى الحنك الأعلى والألف إذا خرجت من موضعها استعلت إلى الحنك الأعلى فلما كانت مع هذه الحروف المستعلية غلبت عليها كما غلبت الكسرة في(مساجد) ونحوها؛ فلما كانت الحروف مستعلية وكانت الألف تستعلي وقربت من الألف كان العمل من وجهٍ واحد أخفّ عليهم كما أنّ الحرفين إذا تقارب موضعهما كان رفع اللسان من موضع واحد أخفّ عليهم فيدغمونه.

الغرض من الإمالة

إن غرض الإمالة : أن تُنحي بالفتحة نحو الكسرة ، وبالألف نحو الياء ، حتى يزول الاستثقال ، حين النطق بالفتح يكاد يكون اللسان مستويا في قاع الفم ، فإذا أخذ في الصعود نحو الحنك الأعلى بدأ حينئذ بذلك الوضع الذي يسمى بالإمالة ، فلا فرق إذن بين صاحب الفتح وصاحب الإمالة ، إلا في اختلاف وضع اللسان مع كل منهما حين النطق بألف المد وياء المد .

ويقول ابن الجزري إنّ غرض الإمالة : هو الإعلام بأن أصل الألف الياء ، أو التنبيه على انقلابها إلى الياء في موضع ، أو مشاكلتها للكسر المجاور لها أو الياء

ثم أسند حديث حذيفة بن اليمان أنه سمع رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يقول : (اقرأوا القرآن بلحون العرب وأصواتها ، وإياكم ولحون أهل الفسق وأهل الكتابين) . قال ابن الجزري : (الإمالةُ) لا شك من الأحرف السبعة ومن لحون العرب وأصواتها .

فأغراضها إذًا أحد أمرين : أولهما : تناسب الأصوات وتقاربها ، وبيان ذلك أن النطق بالياء والكسرة مستفل منحدر، والنطق بالفتحة والألف مستفل متصعد ، وبالإمالة تصير الألف من نمط الياء في الانحدار والتسفل

الآخر : التنبيه على أصل أو غيره .

فائدة الإمالة

هي سهولة اللفظ وذلك أن اللسان يرتفع بالفتح وينحدر بالإمالة والإنحدار أخف على اللسان من الارتفاع هذا لمن أمالَ ، وأما من فتح راعى كون الفتح أمتن أو راعى الأصل .

ها هو ذاعبقري العربية ابن جني يُعِد الإمالة فرعاً من الإدغام ، ويسميها الإدغام الأصغر ويقول : (أما الإدغام فهو تقريب الحرف من الحرف وإدناؤه منه من غير إدغام يكون هناك ، فمن ذلك الإمالة ، وإنما وقعت في الكلام لتقريب الصوت من الصوت ، وذلك نحو : (عِالِم ، وكِتاب ، وسعى ، وقضى . . . . أَلا تراك قربت فتحة العين من (عالم) إلى كسرة اللام منه، بأن نحوت بالفتحة نحو الكسرة، فأملت الألف نحو الياء، وكذلك سعى وقضى نحوت بالألف نحو الياء التي انقلبت عنها).

أما حكم الإمالة فهو الجواز . فكل مُمال يجوز فتحه ، و أما محلها غالبا في الأسماء ، المتمكنة، والأفعال ، وقليلاً في بعض الحروف ، وأما عن لهجات القبائل في الفتح والإمالة فيكاد علماؤنا القدامى يتفقون على أن الفتح لهجة أهل الحجاز ،

وأن الإمالة لهجة عامة أهل نجد من تميم وأسد وقيس ، وقد ألمح الدكتور رمضان عبد التواب إلى أنّ بعضًا من القبائل الحجازية كانت تميل ما هو مفتوح ، حيث يقول : (من المتوقع أن تكون قبائل الحجاز وصلت إلى المرحلة الرابعة من مراحل التطور وهي الفتح ولكن مرت عليه فترة من الفترات كانت عند المرحلة الثانية وهي الإمالة ولما انتقلت إلى المرحلة الرابعة وهي الفتح ، وشاعت هذه المرحلة عند قبائل الحجاز ، بقيت قلة قليلة تنطق بالإمالة ، وهذا ما يسمى بالركام اللغوي ؛ ومعناه : (أن الظاهرة اللغوية حينما تموت ، لا تموت تماما ، بل تبقى بقايا تدل عليها تتصارع مع الزمن ، ومن أمثلة ذلك لغة (أكلوني البراغيث) . وكسر أحرف المضارع وغير ذلك.

وبناءً على ما سبق ، فإنّ الإمالة لم تكن مقصورة على تلك القبائل التي أشار إليها الأقدمون في كتبهم ، وإنما كانت ظاهرة أكثر شيوعا مما ذكروه ، فهي إذن صفة كثيرة الشيوع عند العرب في نطقهم .

ويقول عبده الراجحي : (ومهما يكن من أمر فإنّ الإمالة كانت منتشرة في لهجات عربية قديمة ، وهي تمثل مستوى اللغة الفصحى ويُقرأ بها القرآن الكريم ، وهي الآن منتشرة في بعض اللهجات العربية وبخاصة لبنان.

أسباب الإمالة

أسباب الإمالة قسمان: لفظي ومعنوي ، فاللفظي الياء والكسرة ، والمعنوي الدلالة على ياء أو كسرة ، وهذه الأسباب أجملها عبده الراجحي في النقاط الآتية :

١. كسرة متقدمة ولابدّ أن يفصل بين الكسرة المتقدمة والألف فاصل ، وأقله حرف واحد مفتوح نحو : كِتاب ، حِساب.
٢. ياء متقدمة نحو: أياما ، شيبان ، الحياة.

٣. كسرة متأخرة نحو: عابد ، من الناس ، في النار.

٤. ياء متأخرة نحو: مبايع.

٥. كسرة مقدرة في المحل الممال نحو(خاف) أصله : خَوِفَ.

٦. ياء مقدرة في المحل الممال نحو: يخشى ، أتى.

٧. الألف التي يكسر ما قبلها في بعض أحوال الكلمة ، نحو قولك في خاف خِاف ، وفي (صار) صِار لقولك (صِرتُ ، وخِفت)

٨. إمالة لأجل إمالة نحو : (رأيتُ عمادا) ، أُميلت فتحة الميم لكسرة العين ، ثم أُميلت فتحة الدال للإمالة قبلها .

٩. إمالة لأجل الشبه نحو (الحسنى) قالوا إنهم أمالوا لشبهها بألف الهدى.

١٠. إمالة لكثرة الاستعمال نحو: الناس.

ملاحظات على الإمالة

١. الإمالة ظاهرة خاصة بالنطق فقط ، والكتابة العربية ليس فيها رسم يمثل الإمالة .

٢. ركز القدماء على إمالة الفتحة نحو الكسرة والألف نحو الياء وذكر بعضهم إمالة أخرى وهي إمالة الفتحة نحو الضمة والألف نحو الواو وهذه الإمالة تلحظ في اللهجة المصرية العامية مثل : فُوق ، شُوط ، نُوع،

٣. ذكر ابن جني : (مثل هذا النوع من الإمالة في قوله : (و أما ألف الإمالة فهي التي تجدها بين الألف والياء نحو قولك في : (عَالم وخَاتم ، عِالِم ، خِاتِم) . وأما ألف التفخيم فهي التي تجدها بين الألف وبين الواو نحو قولهم : سلامٌ عليه . . . وقام زيدٌ وعلى هذا كتبوا الصلوة ، الزكوة ، والحيوة ، بالواو لأن الألف مالت نحو الواو.